

المدن الساحلية ودورها في الصراع البحري الإسلامي المسيحي

(مدينة عنابة نموذجا)

أ. لعربي إسمهان*

تهيد:

لاشك أن المدن الساحلية في الشمال الإفريقي عامة ظلت هدفا رئيسيا للأطماع الخارجية منذ العصور القديمة. حيث كان الفينيقيون ثم الرومان ثم الوندال... وهكذا إلى أن دخلت هذه المنطقة تحت حكم المسلمين في العصرين الوسيط والحديث. حيث احتدم الصراع البحري الإسلامي المسيحي. مما أدى إلى ظهور تلك المدن الساحلية بحكم موقعها المعرض للخطر الدائم كطرف رئيسي في هذا الصراع. نذكر من بين تلك المدن عنابة الجزائرية التي ما فتئت تتعرض للهجمات البحرية منذ القرون الأولى من عهدها بالإسلام؛ نظرا لدورها المحوري كتغر جهادي، و خيراتها وموقعها الاستراتيجي الذي يقدم لمن يستولي عليها مكسبا كبيرا.

بما أن تاريخ المدن الجزائرية لا يزال يحتاج إلى دراسات تزيل الغبار عنه؛ سنحاول التحدث في هذا العرض الموجز عن مختلف الخطات التاريخية التي مرت بها هذه المدينة الهامة. التي لم تلقى من اهتمامات الباحثين الكثير - في صراعها مع الخطر المسيحي، وانعكاسات ذلك على أهل المدينة وأحوالها المعيشية عموما.

1- مدينة عنابة وأهميتها في العصر القديم:

تأسست مدينة عنابة على يد الفنيقيين في منتصف القرن 11 قبل الميلاد؛ حيث أطلقوا عليها إسم هيو Ubbon، وقد بنيت بين نهر سيوس وبوجمة (1). وهي كلمة سامية فينيقية احتلف الباحثون حول معناها؛ فهناك من يرى أنه تعني خليج أو ملجأ ورأى آخرون أنها تعني الرأس، وهناك فريق آخر يرى بأن معناها

* أستاذة مساعدة قسم التاريخ جامعة تلمسان.

كائن جميل(2) وهناك من ربطها بالجذر العربي فتعني الأب بتشديد الباء التي تعني المرعى وما يأكله الناس والأنعام(3).

كانت في البداية كغيرها من المستعمرات الفينيقية مجرد نزلة escale عادية ثم شهدت استقرار بعض العمال المكلفين بالمبادلات التجارية وتخزين السلع التي كانت تحضرها القوافل القادمة من داخل البلاد استعدادا لنقلها فيما بعد على ظهر السفن الفينيقية في أوقات محددة(4). وبعد تأسيس قرطاجنة في سنة 888 ق م بسطت نفوذها على المستعمرات الفينيقية على طول ساحل البحر المتوسط وورثت الفينيقيين في ذلك. في هذا العهد أصبحت هيبون جمهورية صغيرة مستقلة تدير شؤونها بنفسها ومنذ هذا التاريخ بدأت أهميتها في الظهور (5).

وبعد الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا أبدى هؤلاء اهتماما خاصا بها وأعتنوا بعمرانها وأطلقوا عليها إسم المدينة الملكية (hippone rejus) فملئوها بالقصور والحمامات المكونة من الفسيفساء الفنية وقطع الرخام النادر والخزانات الضخمة التي تحفظ الماء اللازم لري المدينة والبساتين الجميلة. فأصبحت هيبون بحكم موقعها مركزا رئيسيا للساحل كله، وملتقى للطرق التي اختطت منها نحو مختلف المدن الداخلية والساحلية لنوميديا أو الجزائر الشرقية(6).

أما في العصر المسيحي فقد اكتسبت عنابة شهرة لا تخفى على أحد بفضل القديس أغسطين العالم المسيحي وكنيسته التي أضحت كعبة لطلاب العلم اللاهوتي، أين كان هذا العالم يلقي الدروس؛ فكانت من أهم المراكز العلمية والدينية بالجزائر القديمة(7).

ثم نجد تراجعا لإشعاع هيبون ويريقها الحضاري بعد الغزو الوندالي ثم العصر البيزنطي الذي لم يكن أحسن حالا من سابقه حيث كان الاضطراب سيد الموقف، والثورات والحروب الأهلية التي كانت المنطقة مسرحا لها، وأصبحت عنابة تقع مرة بعد أخرى بين أيدي المنتصرين. ولم تقم لها قائمة بعد ذلك في العصر القديم(8).

لا نملك معلومات وافية عن المدينة في الفترة المبكرة من عهدها بالإسلام(9). إلا أن ما نعرفه هو أن بونة قد أتم المسلمون فتحها على يد حسان بن النعمان في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ما بين سنتي 65-86هـ/684-705م(10). واستقروا بجوار الخرائب الرومانية بالقرب من مجرى نهر سيوز(11). ولعل أقدم وصف لها جاء على لسان ابن حوقل الذي زارها في أواخر العهد الفاطمي (أوائل القرن الرابع هـ) حيث يقول عنها : "مدينة بونة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، وهي على نهر البحر" (12).

ثم يأتي البكري بعده بقرن ويصفها بأنها مدينتان ، حيث يقول: "ومدينة بونة أولية (بمعنى قديمة) وهي مدينة أفشتين (أغسطين) العالم بدين النصرانية، وهي على ساحل البحر...وتسمى اليوم مدينة زاوي وبينها وبين المدينة الحديثة نحو 3 أميال" (13).

ويقول ناصر الدين سعيدوني بأن سكان المدينة القديمة التي هي زاوي أو سيوس كما كانت تسمى اضطروا إلى تغيير المكان بسبب عدم ملائمة جراء ترسبات الطمي التي كانت تحاصره جراء فيضانات نهر السيوس المتكررة. إضافة إلى كون الموقع القلزم لم يكن آمنا حيال الهجمات الخارجية(14). وبذلك استقر أغلب سكان مدينة زاوي في المكان الجديد الذي يبعد عن مدينتهم الأصلية بنحو 3 أميال كما ذكر البكري(15).

أما عن تسمية المدينة القديمة بزواي فهي نسبة إلى زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي الذي أجلي إلى الأندلس إثر ثورة قام بها ضد الحكم الزيري كان ذلك سنة 391هـ ، والتحق بالمنصور بن أبي عامر الحاجب بالأندلس فأكرم وفادته. ثم عاد إلى الوطن بعد نشوب الفتنة البربرية سنة 410هـ. فنزل على المعز بن باديس . حفيد أخيه بولكين بن زيري . في القيروان وكانت مدينة بونة آنذاك قائمة على الحدود بين المملكتين الصنهاجيتين الزيرية في الشرق والحمامدية في الغرب. وهو ما ذكره أبو الفداء نقلا عن إبي سعيد: " إن بونة على آخر سلطنة بجاية وأول سلطنة إفريقية" (16). وبذلك تكون هذه المدينة قد اقتطعت لزواي(17).

ثم لم يلبث اسم مدينة بونة الحديثة أن أصبح غير متداول بين الناس بعدما صارت المدينة تعرف ببلد العناب نسبة لهذا النبات الذي ينمو تلقائيا بالجهات القريبة من المدينة(18). وهكذا لم ينته القرن 15 حتى اكتسبت المدينة تسميتها الحالية وهي عنابة.

4- موقع عنابة (المدينة الحديثة) وأهميته:

لقد كان موقع المدينة الحديثة أو عنابة يتحدد بالهضبة الصخرية المحاذية لشاطئ البحر والمطلّة على الجهات الداخلية الأمر الذي جعل عنابة غير بادية للأنظار للقادم من البحر. وهذا الموقع بالنظر إلى مقاييس ذلك العصر الاستراتيجية فهو يكسب المدينة ميزة كبيرة بحيث يجعلها في مأمن من غارات الأساطيل المفاجئة، ومن جهة أخرى يساعد على سهولة اتصالها بداخل البلاد(19). وقد كانت محصنة بقصبة مشيدة فوق أكمة مقابلة للمدينة كانت تحتوي قصرا متين البناء؛ يحيط به سور منيع يصل بين القصبة والمدينة(20).

لقد جمعت عنابة بين خصائص المدينة الداخلية وبين المدينة البحرية وهما أمران قلما يتوفران في مدينة واحدة. وهو ما جعل البكري يصفها بأنها " بركة بحرية"(21). ويقول عنها أحمد بن قاسم البوني أحد أشهر أعلامها في القرن السابع عشر الميلادي هي مدينة جمعت بين البر والبحر(22).

فبالنسبة لكونها بركة فإننا نجد أغلب الرحالة الذين زاروها أجمعوا على الخيرات التي تتمتع بها ؛ بفضل الإقليم المجاور لها والمربط بها اقتصاديا وبشريا(23) ،

حيث نجد ابن حوقل يقول عنها: "... فيها خصب موصوف وفواكه وبساتين فريضة، وأكثر فواكهها من باديتها، والقمح والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له ، ولها معادن حديد كثيرة... وبها العسل والخير والمير ما تزيد به على ما داناها من البلاد المجاورة لها . ولهم إقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير "(24).

ويقول عنها البكري: "ومدينة بونة كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل، وأكثر لحماهم البقر"(25). ويقول عنها ليون الإفريقي في مطلع القرن 16م: "...وفي خارج المدينة تحرث البادية على مسافة نحو

أربعين ميلا طولا وخمسة وعشرين ميلا عرضا وكلها صالحة للقمح. وتسكنها قبيلة عربية تدعى مرداس، تزرع الأرض وتملك عددا كبيرا من البفر والثيران والغنم. وتعطي هذه الماشية الزيد بكثرة إلى حد أن الأعراب لا يكادون يحصلون في مقابله على مال، عندما يحملونه للبيع في عنابة..."(26).

أما بالنسبة لكونها بحرية فإن أهمية عنابة الإستراتيجية وغناها الطبيعي لا يكتمل إن دون الحديث عن أهميتها في التجارة الخارجية الذي عرفته منذ العصر الفنيقي؛ بفضل موقعها على ساحل البحر. و ميناءها المناسب لهذا النشاط؛ حيث كان محميا من الرياح الغربية وما يصاحبها من تيارات مائية بمرتفعات جبل إدوغ المطل عليها، وكانت هذه المرتفعات ممتدة من السهل في الجنوب حتى الراس الحمرا في الشمال على مسافة 14 كلم؛ فضلا عن أن الميناء في حد ذاته يستند إلى أسوار المدينة وتنتصب بالقرب منه قطع المدفعية المقامة في الجهة الشرقية للمدينة(27).

وقد كان ذلك سببا في تردد التجار الأوربيين بمختلف جنسياتهم لا سيما الإيطاليين منهم بالتقرب من حكامها للحصول على امتيازات تجارية تمكنهم من تصدير المواد الأولية التي كانت السفن تأتي لشحنها من ميناء المدينة.

لعل من أقدم المعاهدات التجارية هي تلك التي عقدها عبد المؤمن بن علي الموحد مع جمهورية جنوة سنة 548هـ (1153م)، ثم أعقبتها معاهدة أخرى سنة 555هـ (1160م) تضمن حرية التجارة لرعايا جنوة برا وبحرا، وقد استمر ذلك على عهد الحفصيين ومن بعدهم العثمانيين(28). وقد إنشئت بغرض ذلك الفنادق(29) في عنابة على غرار المدن الساحلية الأخرى مثل: المهديّة وتونس، وبجاية(30).

دور مدينة عنابة في الصراع البحري المسيحي الإسلامي حتى منتصف القرن 16:

شهدت إفريقية منذ عهد الأغالبة إهتماما بالنشاط البحري، وأصدق دليل على ذلك هو فتح صقلية في مطلع القرن الثالث الهجري ومعظم الجزر المجاورة لها انطلاقا من قوات قامت من هذه الشواطئ. واستمر

الوضع على عهد الفاطميين، حيث كان من أهم أعمالهم بناء المهديّة التي ستصبح من أهم موانئ المتوسط في عهدهم وعهد الزيّريّين من بعدهم. حيث كان الأسطول في العهد الزيّريّ وسيلة لحماية شواطئ المملكة من القرصنة المسيحية، وخصوصا لمواجهة أسطول النورمانديين الذي كانت خطورته تزداد مع مرور الزمن(31). وبحكم موقع بلاد المغرب الإسلامي - الذي يجعل سواحلها معرضة لخطر الغارات البحرية المفاجئة من الشمال - أنشئت ومنذ عهد مبكر(ق2هـ) الرباطات والحصون على طول هذه السواحل، واشتهر من هذه الرباطات رباط بونة، ورباط راس الحمرا قرب عنابة الذي يعرف عند الفرنسيين بكاب دي قارد Cap de garde إلى جانب غيرها من الرباطات مثل شرشال، ومرسى مغيلة ونكور، وغيرها(32).

وقد بني بمحاذاة رباط بونة مسجد(33) الولي الصالح سيدي أبي مروان(34) الشهير وفيه ضريحه. وقد استمر رباط بونة موجودا إلى فصل الشتاء من سنة 1965م أين حدث انفجار لسفينة كانت تمر بقربه؛ فدمر عن كامله؛ ما عدا المسجد(35).

وبذلك أصبحت مدينة عنابة طرفا مهما في هذا الصراع مما جعل الحكام المتعاقبين عليها يهتمون بتحسينها وتسيورها. حيث نجد البكري يذكر بأنها سورت بعد سنة 450(36). وهي السنة التي سبقتها عدة مناوشات وغارات متبادلة بين الزيّريّين والممالك المسيحية.

نذكر منها تلك المواجهات التي قامت بها أساطيل المعز بن باديس ضد أساطيل بيزة وجنوة(37). ففي سنة 411هـ (1020م) انطلق أسطول من المهديّة وغزا جنوب إيطاليا، ولكن عند عودته تمكن بيزيون وجنويون من الاستيلاء على غنائمه(38). وفي سنة 426هـ تعرضت بونة الحمادية إلى هجوم مشترك مكون من أسطول بيزي، وجنوي وربما بروفانسي، استطاع احتلال المدينة وتخريبها(39).

وقد بلغت حدة هذا الصراع ذروتها. على ما يبدو. عند الغزو النورماندي لبونة سنة 548هـ(40). وهو السبب الذي أدى إلى تغيير موقع بونة القديمة. وبناء مدينة عنابة الحديثة في مكان أكثر أمنا(41) ثم استكمل بناؤها بالسور الذي ذكره البكري.

وقد كانت هذه الغارات راجعة إلى كون بونة قد اكتسبت أهميتها منذ عهد مبكر كتغر جهادي . كما سبقت الإشارة . ونقطة تنطلق منها القوات البحرية مجاهدة ضد الممالك النصرانية العسكرية . ولعل أقدم دليل وصل إلينا عن القوة العسكرية التي كانت تملكها بونة . ما ذكره ابن حوقل : "...لها عامل قائم بنفسه ومن البربر عسكر لا يزول كالرابطة" (42) . ثم يقول عنها البكري : "ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم ، وجزيرة سردانية وكر كة وما والاها" (43) . وقد عرفت مملكة بني حماد صناعة السفن في بونة وجيجل حيث يتوفر الخشب والصمغ الذي يستعمل للحم الخشب (44) . وقد كانت الغارات تقوم بها السفن الحربية انطلاقا من بونة والمهدية وبجاية فيما بعد على المدن الإيطالية وشواطئ بيزنطة في شرق المتوسط (45) . وقد استمر الوضع أيام الموحدين الذين امتازوا بقوتهم البحرية ، وكثرة أساطيلهم المتنوعة الأشكال ، وكانت لها دور لصناعة السفن منها في عنابة . وبهذه الأساطيل افتتح الموحدون كثيرا من السواحل وتغلبوا على براعة النورمان وحاربوا في وقائع بحرية شهيرة بالأندلس ، وغيرها . وكانت بذلك دولة الموحدين من أقوى دول العالم البحرية لدرجة استتجاد صلاح الدين بها في حروبه الصليبية (46) .

بعد ضعف المسلمين وتشتت قوتهم إثر سقوط الموحدين واقتسام بلاد المغرب بين ثلاث دويلات متناحرة ، أصبحت بونة تابعة لسلطان الدولة الحفصية ، حيث كان على رأسها والي من قبل الحفصيين . ولكن الأوضاع لم تكن مستقرة طوال العهد الحفصي الممتد من (627-943هـ) / 1229-1536م . حيث لم تعترف هذه الدول لبعضها بالاستقلال فاستمرت الحروب بينها ، وربما وقعت الحرب بين الأمراء المرشحين للملك في الدولة الواحدة ، وكثيرا ما كانت المناطق الغربية للدولة الحفصية تستقل في صورة مملكة مثل مملكة بجاية ، وقد يستقل مدنها بعضها عن بعض (47) .

ثم استفحل أمر البحريرات الأوربية في القرن السابع الهجري/13م واحتل الأراغونيون صقلية عام 1282م ، واتبعوها بسردينيا 1325 . وأقام القطلونيون مستعمرات بحرية كانت في واقعها محطات للقراصنة ، خاصة في سردينيا وصقلية وعلى مقربة من بونة . بينما كان الأسطول الحفصي قد تدنى مستواه عددا وتقنية وعدة . بذلك بدا لها المغرب الإسلامي المنقسم على نفسه فريسة سهلة ، حيث رأوا فيه امتدادا لبلاد الأندلس المسلمة

وحرب المسيحية ضدها. ومن ثم شرع صاحب صقلية يشن غاراته على الشمال الإفريقي المسلم ، ففي سنة 686هـ / 1287م غدر بمرسى الحرز (القالة) القريب من بونة، واقتحموها بعد ما ثلموا أسوارها واكتسحوا ما فيها، وفي عام 688هـ / 1289م هاجموا جزيرة جربا ، وفي 689هـ حاصروا بونة وأسروا من ضاحيتها أشخاصا(48). ويبدو أن العبدري قد مر بها وهي حوالي تلك الفترة التي اشتد فيها النشاط البحري ضدها. وقد أشار إلى ذلك بقوا: "... وإنا صادفنا وقت المرور بها زويقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا فأمسكهم للفداء بمرسى البلد وتركناهم ناظرين في فداءهم"(49) . ولم يخفي العبدري اندهائه لذلك كيف أن عشرين شخصا يتحكمون في مدينة. وهذا دليل على انخراط أمرها، وانكماشها من كثرة الغارات التي شنت عليها

وما كاد يطلع القرن السادس عشر؛ و بينما كانت دول المغرب منهمكة في الحروب بينها أو في قمع الثورات الداخلية؛ استفحل خطر الأساطيل المسيحية لا سيما الإسبانية منها، التي أصبح هدفها القضاء على سيطرة المسلمين على المناطق الغربية من البحر المتوسط، والمهجوم على مدن وأراضي إفريقيا الشمالية واحتلالها(50). ولم تمض إلا سنوات قليلة بعد سقوط غرناطة في قبضة النصارى الإسبان، حتى انطلق هؤلاء ينفذون خططهم بكل ما لديهم من عزيمة وقوة، فاحتلوا بجاية وعنابة (سنة 1510م)، وتبعتهما موانئ أخرى من القطر الجزائري"(51)

وقد كان لطرد المسلمين من الأندلس أكبر الأثر في هذا الصراع البحري الإسلامي الإسباني، بعدما أخذ المسلمون يلجأون إلى الشمال الإفريقي ابتداء من سنة 856هـ / 1452م(52). حيث كان اتحاد الجالية الأندلسية مع أهل الجزائر على محاربة الإسبان بهذا البحر سببا في مضاعفة العمليات البحرية ضد جميع القوى النصرانية حيث قام المسلمون بإعادة تنظيم مؤسستهم البحرية حتى غدت أشبه " بصناعة" قائمة بذاتها، لها مدنها، وأساطيلها، وبخارجها، وصناعتها، وتجارها، وتدعم ذلك كله بظهور الإخوة بربوس ودخول المنطقة تحت النفوذ العثماني الذي أعاد للمغرب ولعنابة دورها الحي في السيادة الحربية على هذا الجزء من البحر المتوسط(53). وأكبر دليل على ذلك الإخفاق الذي منيت به الصليبية الإسبانية؛ جراء خسارتها لجميع المدن التي احتلتها على

طول الشريط الساحلي تحت ضربات المجاهدين الجزائريين وحميتهم في الدفاع عن وطنهم ، فلم يبق لها فوق أديم الأرض الجزائرية إلا مدينة وهران، ومرساها الكبير(54)

ولعل أهم الغارات الإسبانية التي تعرضت لها عنابة في القرن 16 كانت حملة شارلكان في شهر ماي 1535م. والذي أسفر عن احتلال للمدينة دام خمس سنوات. وقد نفذت الحملة قطع من أسطول شارلكان إثر عودته من غزو تونس؛ حيث دخلت المدينة بعدما غادرها خير الدين بربروس، فوجدتها خالية من سكانها الذين لجأوا إلى الجبال. وقد عين دون ألبار غوميث DON ALVAR GOMEZ كحاكم عليها. بقي الإسبان في المدينة مدة إثني عشرة أو ثلاث عشرة يوما ينهاهونها، حتى أضحى اقتلعوا جدران البيوت، وأبوابها ونوافذها، ونجبت المون من قمع وشعر(55) .

وتبين لنا حرص شارلكان على التمسك بعنابة إحدى المراسلات التي كانت تتم بينه وبين دون ألبار حاكمها ، حيث جاء في إحداها: "...يقال بأن بربروس كان سعيدا بهذه المدينة ، ومعه حق في ذلك لأنها تجمع خصائص جد ممتازة، وهي إسم على مسمى (بونة، بمعنى جيدة). حيث أن نهرها (السيبوس) وواد بوجمة يرويان مساحة واسعة من الأراضي الخصبة... هناك أيضا مساحة جيدة من البساتين بالقرب من المدينة، كما أن الجبل (إدوغ) له من المراعي الممتازة المناسبة لرعي المواشي. في الغابة توجد الأسود والخنازير، والديبة، والفهود والأرانب، والحجل.

أما النهر (سيبوس) فميزته أنه يستطيع استقبال الكثير من السفن بالأعداد التي نريدها. ويمكن لها المكوث هناك طويلا طيلة فصل الشتاء بعيدا عن البحر في أمان كبير. والنهرين يحتويان على الكثير من الأسماك بحيث يمكننا اصطيادها بالعصا"(56).

لعل هذا الوصف يلخص لنا أهمية المدينة من حيث استراتيجيتها وخيراتها وأسباب الطمع بها من حيث كونها تشكل مكسبا لمن يستولي عليها. وهو ما جعل شارلكان يرد على ألبار برسالة أخرى توضح تحمسه للتقرير

الذي بعث به هذا الأخير. ويقرر جملة من الترتيبات التي تصب في صالح تمسك الإسبان بها، ومن أهمها تحصين القصبه(57) .

ولكن الحامية الإسبانية في القصبه لم تستطع الصمود كثيرا نظرا للحصار الذي فرضه عليها أهلها الذين قطعوا المؤونة عنها من داخل المدينة، والغارات التي كان يشنها عليها العنابيون المعتصمون بالضواحي المجاورة للمدينة(58). وهكذا بعد تزايد المشاكل إثر مقتل دون ألبار من طرف جنوده، وعدم استطاعة الحاكم الجديد السيطرة على الوضع. غادرت الحامية الإسبانية بعدما خربت القصبه والمدينة. فاسترجعها خير الدين ببروس الذي قام بتحصينها، وأقام بها حامية تركية(59).

خلاصة:

إن وضعية عناية طيلة العصر الإسلامي كثر، وكوئها ظلت في مواجهة مستمرة مع الأعداء، إضافة إلى المشاكل الداخلية التي ظلت تعصف بالحكومات المغربية المتعاقبة على حكمها؛ أثر في أحوالها المعيشية والعمرانية، حيث شهدت في أكثر من مرة حالة التقهقر والإنكماش؛ بسبب التخريب والتعطيم الذي كان يطالها من حين لآخر على أيدي أعداءها.

ولا نجد أبلغ من كلام العبدري حين زارها وهي في إحدى تلك الحالات، عندما قال: "ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطه البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تغازلها العيون من جور النوائب وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب"(60). إلا أن صمود تلك المدينة رغم كل الصعاب طيلة تلك القرون لدليل على قوتها وصلابتها وغنى إمكانياتها.

الهوامش:

- 1) Bouyac, histoire de bouie, paris 1892, p2
- 2) ليلى الصباغ ، عنابة بين إسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي...، مجلة الأصالة، عدد 1976/35/34، عدد خاص حول عنابة، ص 129، 130.
- 3) عبد الرحمن الجيلالي، مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة، مجلة الأصالة، مرجع سابق، ص 192.
- 4) 4 Bouyac, p9.
- 5) Ibid, p10.
- 6) 6 bid, p15.
- 7) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 7، 1994، ص 92.
- 8) Bouyac, op.cit., p26.
- 9) Bouyac, op.cit, p26
- 10) د. ليلى صباغ، مرجع سابق، ص 130
- 11) سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص 499
- 12) ابن حوقل، صورة الأرض، مسورات مكتبة الحياة، بيروت، ص 77
- 13) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر
- 55 ص Le Baron de Slane, Imprimerie de gouvernement, Alger, 1857.
- 14) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 499
- 15) البكري، مرجع سابق، ص 55.
- 16) أبو الفداء، تقويم البلدان، باريس، 1840، ص 141.
- 17) عبد الرحمن الجيلالي، مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة، مرجع سابق، ص 195.
- 18) ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد الأختصر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 2، 1983، ص 61.
- 19) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 501.
- 20) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 502، 502, S.N.E.D, Alger, 1983, T 2, Annaba, H'sen, D.
- 21) البكري، مرجع سابق، ص 55.

- (22) أحمد بن قاسم البوني، التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، ص 96.
- (23) ناصر الدين سماعيلوني، مرجع سابق، ص 504.
- (24) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 76.
- (25) البكري، مصدر سابق، ص 55.
- (26) ليون الإفريقي، مرجع سابق، ص 62.
- (27) ناصر الدين سماعيلوني، مرجع سابق، ص 503.
- (28) مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 705.
- (29) الفندق هو عبارة عن تجمع لعدد من المنازل المتجاورة والمنفصلة عن بعضها بجدران وكانت تحت إدارة قنصل، ومسكونة من طرف أشخاص أجانب من نفس الجنسيات، تضم محكمة، وشرطة، وعمادات وتقاليد خاصة محترمة من السلطات، تشبه الفنادق المسيحية في بلاد المغرب في وظيفتها الخانات في المشرق التي تخصص للتجار الأجانب. ، Maitrot , Bone militaire, (44 siècle de luttes du 24 avant au 20^{ème} siècles après notre ère), Bone, 1934 , p 54
- (30) Ibid, p54
- (31) اسماعيل العربي، الدولة الحمادية ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 250.
- (32) عبد الرحمن الجليلي، مرجع سابق، ج1، ص 308.
- (33) بني هذا المسجد في العهد الزيري، سنة 425هـ، وقد أشرف على بناءه وتأسيسه رجل علم وصلاح وكفاح، وهو أثير البرقي. من عائلة عريقة عرفت في الوسط البوني بدار التيار، ولا تزال بقية من أحفاد أحفادها موجودة إلى عصرنا، المرجع نفسه، ص 196.
- (34) هو أبو عبد الملك البوني واسمه مروان بن علي القطان أندلسي الأصل، سكن بونة من بلاد إفريقية. وكان من الفقهاء المتفنيين، ألف في شرح الموطأ كتابا مشهورا حسنا رواه عنه الناس. القاضي عاض، ترتيب المدارك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان د.ت. مج 2، ج 4، ص 141.
- (35) عبد الرحمن الجليلي، مسجد سيدي أبي مروان....، مرجع سابق، ص 196.
- (36) البكري، مصدر سابق، ص 55.
- (37) الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ج1، 208.
- (38) De Mas Latrie, Traité de paix et de commerce..., Paris, 1800, p8
- (39) Ibid, p8.

- 40) يقول ابن الأثير : " وفي سنة 548هـ سار أسطول روجار إلى مدينة بونة، وكان المقدم عليه فتاه فيليب المهديوي ، فحصرها وأخذها ففسى أهلها وملك ما فيها، وأقام بها عشرة أيام وعاد إلى المهديية وبعض الأسرى معه، وعاد إلى صقلية. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، القاهرة، 1301هـ، ج 11، ص 84
- 41) ناصر الدين سعيدي، مرجع سابق، ص 500.
- 42) ابن حوقل، مصدر سابق، ص 76.
- 43) البكري، مصدر سابق، ص 83.
- 44) اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 240.
- 45) نفسه ، ص 243.
- 46) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ج 2، ص 18.
- 47) الملي، مرجع سابق، ص 727-765.
- 48) ليلي الصباغ، مرجع سابق، ص 146.
- 49) العبدري البلنسي ، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث ، قسنطينة، د ت ، ص 33.
- 50) ليلي الصباغ، مرجع سابق، ص 153.
- 51) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 141.
- 52) إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 251.
- 53) ليلي الصباغ، مرجع سابق، ص 153.
- 54) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص 411.
- 55) MAITROT, p71, 72.
- 56) H'sen Derdour, Annaba, lettre de don Alvar, a l'empereur ..., 23/10/1535.p24.
- 57) Ibid, p25.
- 58) أنظر معاناة الحامية الإسبانية من خلال المراسلات بين حاكم المدينة وشركان، في Maitrot , op.cit, pp74-99
- 59) Ibid, p99.
- 60) العبدري البلنسي ، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث ، قسنطينة، د ت ، ص 33.